كتاب الشباب

زوار الشاطئ الخالي



أحمد عبدالسلام البقالي

مكتبة العبيكان



زوار الشاطئ الخالي

بقلم

أحمد عبد السلام البقالى

مكتبة المعارف

ⓒ مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي ، أحمد عبد السلام

زوار الشاطئ الخالي . ـ الرياض

. . . ص؛ . . . سم . ـ (سلسلة كتاب الشباب)

ردمك ٨ ـ ٢٣٤ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القصص البوليسية العربية أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٨١٣، ٠٨٧٢ ١٧/٠١٤٢

ردمك ٨ ـ ٢٣٤ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع : ١٧/٠١٤٢

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ
الطبعة الثانية – مكررة
١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥
هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

جَلَسَ مَنْصُورٌ تَحْتَ شجـرَةٍ يرعَى أغْنَامَهُ السَّبْعَـةَ، ويقرأُ في لوحٍ سـورة الرحمنِ. كانَ قـدْ تركَ كُتَّابَ القـريةِ بعدَ وفـاةِ والِدِهِ ليرْعَى الأغنامَ التي كانتْ مصدرَ عيشِ الأسرةِ.

كانَ يرفعُ عينيْهِ عنِ اللوحِ لينظر إلى الأغْنَامِ مَرَّةً، وإلى البَحْرِ أخْرَى. كـان يطمعُ في أن يرى سفينـةً تمخرُ عبابَ المحيطِ على حفافِ الأفقِ النائي. فقد كان منظـرُ السفنِ العابرةِ المحيطاتِ يلهبُ خيالَهُ، ويشـوقُهُ إلى السفرِ والمغامرةِ. فقريتُـهُ «الدمينةُ» هادئةٌ هدوء المقابرِ، ولا يحدثُ فيها شيءٌ أبدًا.

وسَمِعَ صَوْتَ مُحرِّكٍ فَنَظَـرَ إلَى البَحْرِ، فإذَا بِمَـرْكَبٍ يَقْتَرِبُ منَ الشَّـاطِئِ، فَوَضَعَ مَـا كَانَ بِيَدِه، وَجَرَى صَـوْبَ الشاطئ ليَنْظُـرَ إلَيْهِ. لَمْ يكُنْ رَأَى مِنْ قَبلُ مَرْكَبًا عن كثبٍ.

وتَوَقَّفَ المُحَـرِّكُ، ورأى منصُورٌ مخْطَـافًا كبيرًا يتـدلى بسلسِلَةٍ يَنْزِلُ في المَاءِ مِنْ جَانِبِ المَرْكَبِ.

ونَزَلَ مِن المَركَبِ رِجالٌ أشِدَّاءُ إلى زَوْرَقٍ كَانَ مَرْبُوطًا خَلْفَهُ بحَبلٍ، وأخْرَجُوا المَجَاديفَ وأخذو يجدفون صَوْبَ الشَّاطِئِ، ومَنْصُورٌ واقِفٌ يَنْظُرُ إلَيهِم مَسْرُورًا ومبْهُورًا !

قفَزَ رئيسُهُمْ مِنَ الزَّوْرَقِ، وكان رَجُلاً ضَخمًا، ذَا لِحْيَةٍ كثَّةٍ سَوداءَ، ورَأسٍ حَلِيقٍ، يَلْبَسُ قَمِيصًا مَفْتُوحًا منَ الصَّدْر، وسِرْوَالاً مِنَ قماش القَلْعِ الأزْرَقِ.

وخَافَ منْصورٌ حِينَ نَظَرَ إليْهِ الرَّجُلُ. كَانَ الشَّرُّ بَادِيًا عَلَى وَجْهِهِ.

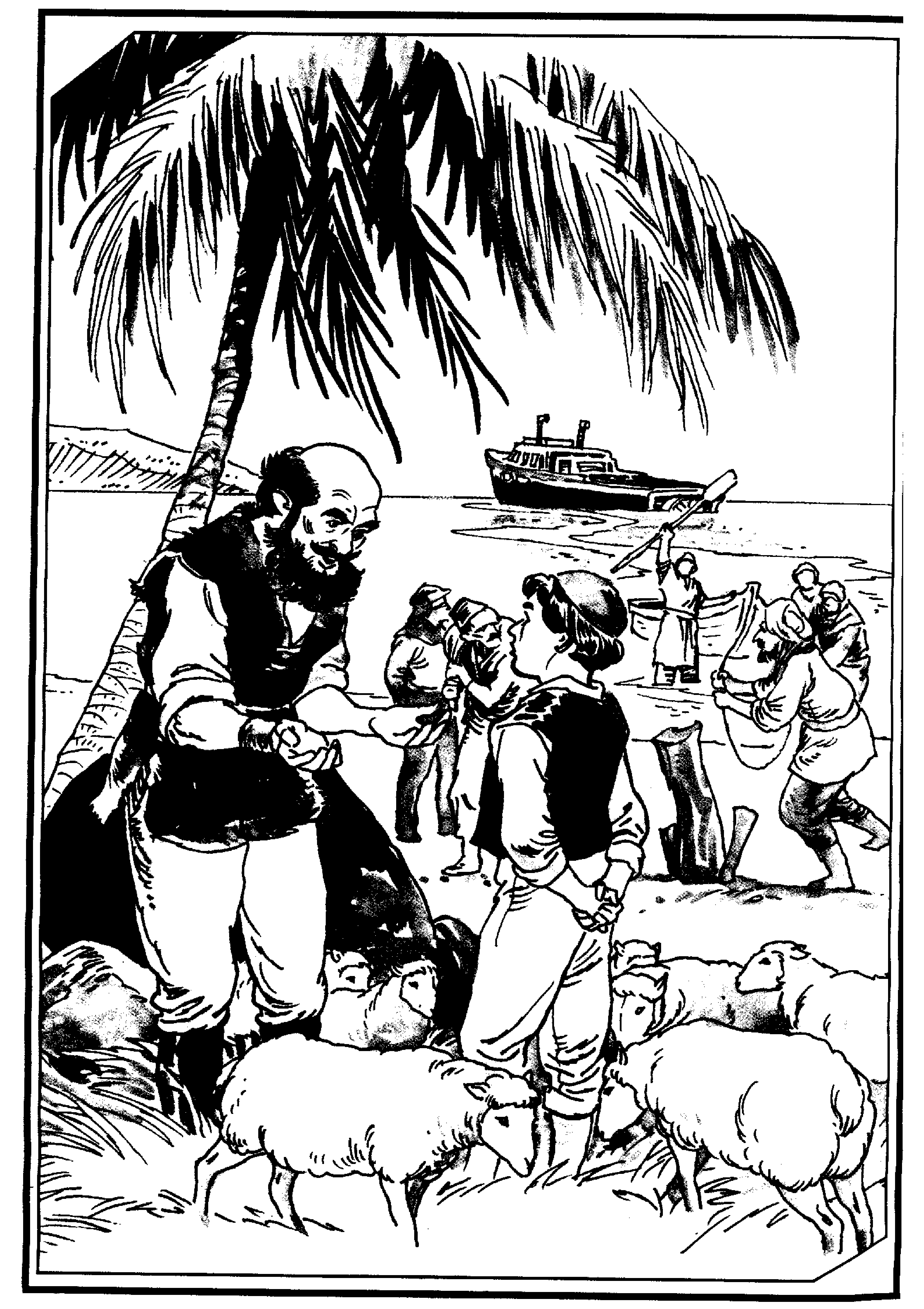
سألهُ الرَّجُل بصَوْتٍ آمِرٍ:

- ماذَا تَفْعَلُ هُنَا يَا غُلاَمُ ؟

فَأجَابَ مَنْصورٌ :

- أرْعَى أغنامِي، يَا سَيِّدِي.

ونَظَرَ الرَّجُلُ إلَى الأغْنَامِ، وابتَسَمَ ابْتِسَامةً لَم تُعْجِبْ منْصورًا، وعَادَ يسأَلُ :



- مَا اسْم تِلكَ القَرْيَةِ ؟

- اسمها (الدُّمينَةُ) .

فَنَظَرَ الرَّجُلُ إلى منصورٍ، وأشَارَ إلى أصحابِهِ :

- أنَـا وأصْحَابِي تُجَّار غَنَـمٍ . فَهَلْ عِنْدَكُمْ أغْنَـامٌ في قَـرِيتِكُمْ هَذِهِ (المَدِينَةِ) ؟

فقاطَعَهُ مَنْصُورٌ مُصَحِّحًا :

- الدُّمْيَنَةُ ، يَا سَيِّدِي .

فَحَكَّ الرَّجلُ رأْسَهُ ، وَكَرَّرَ:

- نَعَمْ ، الدُّمَيْنَةُ . هَلْ عِنْدَكُمْ أغْنَامٌ للْبَيْعِ ؟

- لاَ أدْرِي يَـا سَيِّـدِي . . أغْلَـبُ أهْلِ القَـريـةِ في سُـوقِ المَدِينَةِ . .

فَظَهَـرَ الارتيـاحُ عَلَى وَجْـهِ الـرَّجُلِ الخشنِ ، ولَكِنَّـهُ حَـاوَلَ إخْفَاءَهُ بقَولِهِ :

- للأسَفِ ! وأغْنامُكَ هَذِهِ ، هل تَبِيعُهَا ؟

- لاَ، يَا سَيِّدِي، سَنَبِيعُهَا فِي العِيدِ الكبيرِ.

فابْتَسَمَ الرَّجلُ مَرة أخرى وقَالَ لمنصورٍ:

- أمْسِكْ بِحَبلِ الزَورقِ حتَّى لاَ يَجْرِفَهُ البَحْر، وانتظِرْنَا هُنَا.

وأشَارَ إلى أصْحابِه فَتبعُوهُ صَوْبَ القَريةِ.

وَوَقَفَ مَنْصُورٌ يتأمل المَرْكَبَ، فرأَى فِي مُؤَخَّرَتِهِ، تحت الماء، مِرْوحَةً نحاسيةً كَبِيرةً. وتساءَلَ «مَاذَا تَفْعَلُ المروحَةُ هُنَاكَ تحت المَاءِ؟».

وفَجْأَةً سَمِعَ صَوْتَ البَارُودِ، وصُراخَ النِّساءِ، فالْتفَتَ نَحْوَ القريَةِ، فإذَا البَحَّارةُ يقُودُونَ أمامَهُمْ عَدَدًا كبيرًا مِنْ أغْنَامِ القَريةِ نَحْوَ الشَّاطِئِ.

حينئذٍ فَقَطْ أدْرَكَ منْصورٌ أنَّهُمْ لَيْسُوا تُجَّارَ أغْنَامٍ، بَلْ قَرَاصِنَةٌ ولصُوصًا!

وأسْرَعَ صَوْبَ أغْنَامِهِ ليُبْعِدَهَا عَن طَرِيقِهِم، ولَكِنَّهُ وَصَلَ متَأَخِّرًا. كَانُوا قَدْ جَرفُوها أمَامَهُمْ مَعَ بقيةِ القَطِيعِ الكَبِيرِ.



واعْتَرَضَ منْصـورٌ الأغْنـامَ مُحاوِلاً الإمْسَاكَ بِقُـرونِ بَعْضِهـا ، ولَكِنَّ أحَدَ القَراصِنَةِ أمسكَهُ مِنْ رَقَبَتِـهِ ، وطَرَحَه أرضًا ، وصوَّبَ مُسدَّسَه نَحْوَه مُهددًا :

- إذَا حَاولْتَ ذَلِكَ مَرة أخْرَى أفرَغْتُ هذَا في رأسِك !

وَجَلَسَ مَنْصُـورٌ يبكـي من القهـر والعجـز وهـو ينْظُـر إلَى القَراصِنـة يَضَعُونَ الأغْنَـامَ في الزَّورقِ ، ويحْمِلُـونَهَا إلى المَركَب ، حتَّى شَحنُوهـا كلَّها ، وأشعلـوا المُحرِّكَ ، وانطَلَقُوا يشُقُّـون وجه البحْرِ.

وَوَقَفَ نِسَاءُ القريَةِ عَلَى الشَّـاطئِ يَبْكِينَ ، وينْدُبْنَ ، ويدعِينَ عَلَى القَراصِنَة بالغَرَقِ والمَوْتِ .

وعَادَ مَن كَـانَ في السُّوق مِنْ رجـالِ القريةِ ونِسـائِهَا . وحِينَ عَـرَفُـوا بِخَبَرِ السَّرِقَـةِ ذَهَبَ بَعْضُهُم لإخْبَـارِ مَـركَـزِ الشرطـة ، والتفَّ البَاقُونَ حَولَ مَنْصورٍ ليحْكِي لَهُم عَنْ نُزولِ القَراصِنَةِ .

وجَاءَ رِجَالُ الشرطة فَسَمِعُوا القِصَّةَ مَرَّةً أخْرَى ، وكَتَبوا محضرًا بها . وسأَلَ قَائِدُهُم منْصورًا :

- هَلْ يُمكِنُكَ تَعَرُّفُ القَراصِنةِ إذَا رأيتَهُم ؟

فَأجابَ منصُورٌ:

- بِكُلِّ تأكِيدٍ !

وبَاتَ منصُورٌ يجتر غضبه وحسرته؛ فَقَدْ كَانَتِ الأغْنَامُ السبعة هِيَ مَصْدَرَ عيشهما هو وأمّه . ونامَ نومًا متقطعًا عامرًا بالكوابيسِ المخيفة .

وجَلَسَتْ أمُّهُ إلَى جَانِبِه تُهَوِّنُ عَلَيْهِ، رَغْمَ حُزْنِهَا هِي الأخْرَى، وتَقُولُ لَهُ :

- لاَ تَبْكِ، يَا وَلَدِي . . الحَمْدُ للهِ أنْ تَركُوكَ لِي حَيًّا . . أمَّا الأغْنامُ فسوفَ يُعَوِّضُهَا اللهُ لَنَا . وقَدْ تقبضُ الشرطةُ عَلَيهِم قريبًا .

وفِي اليوم التالي وَدَّعَ أمَّهُ، ونزَلَ إلى المدينَةِ حاملاً على ظهره جرابًا ملأتْهُ له أمُّهُ خبزًا وجبنًا وزيتونًا وتينًا مجففًا، وفي نيته البحث عَن عمَلٍ .

وتَسَكَّعَ في شوارع المدينةِ وأزقتِها، وبينَ دكاكينِها ومنازِلها

ومعاملِها ثـلاثَةَ أيامٍ، لاَ يتَجرَّأُ أن يَسْأَل أحَـدًا عَنْ عَمَلٍ. كَانَ يَنَـامُ فِي المَرَاكِبِ القَـدِيمَةِ المَهْجُـورةِ عَلَى الشَّـاطِئِ، أوْ في بَيْتِ النعوش بالمَقْبَرَةِ.

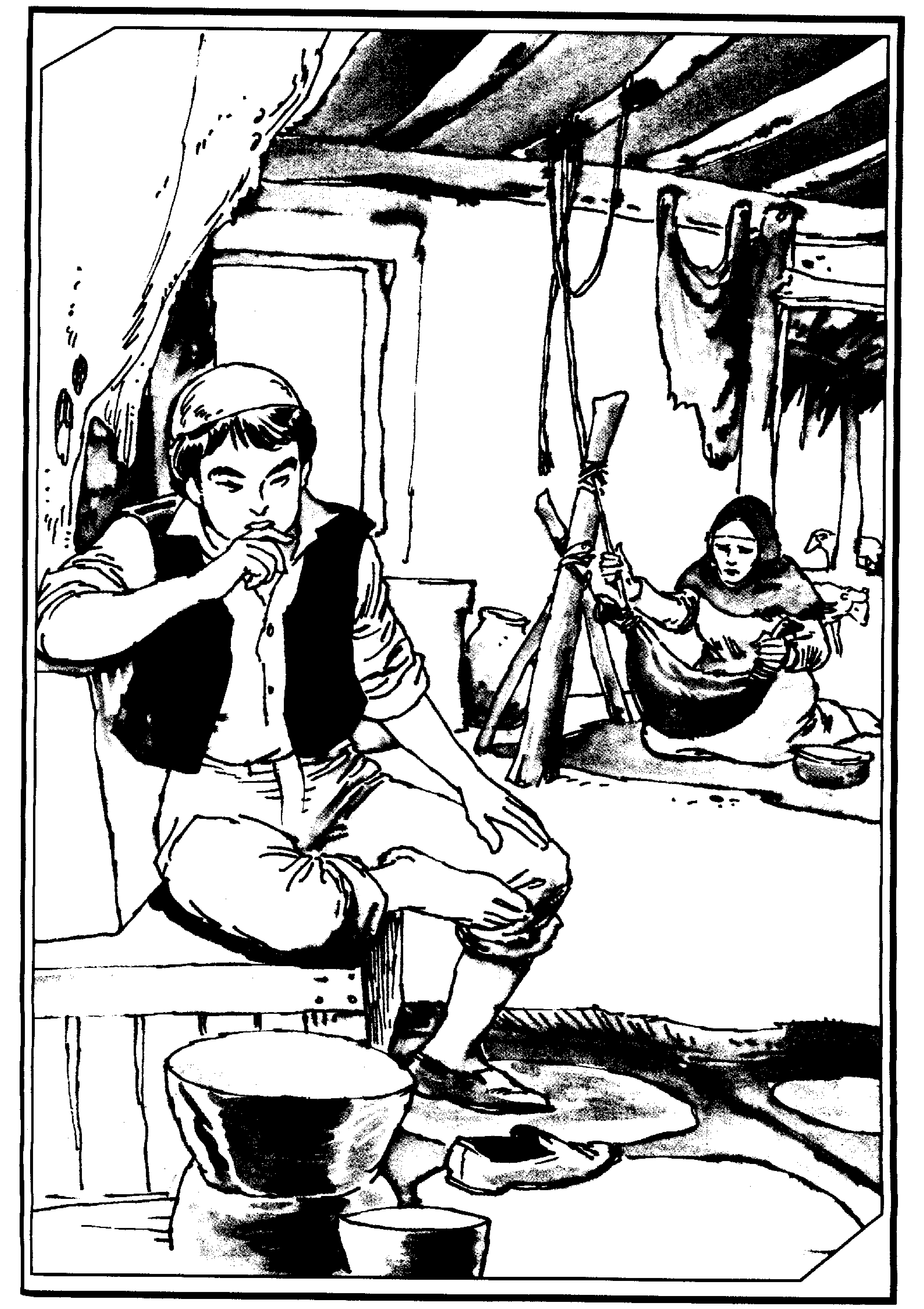
وحِينَ نَفدَ مَـا كانَ معَـهُ من زادٍ اضْطُـرَّ إِلَى العَوْدَةِ إلَى قَـريتِهِ بقلْبٍ ثقيلٍ حَزِينٍ.

وصـادَفَ وقْتُ رُجُوعِـه، لِحُسْنِ حَظِّـهِ، خُـرُوجَ طَائِفَـةٍ منَ الغِلْمَانِ في مثلِ سنِّـهِ مِنْ إِحْـدَى المَزَارِعِ، فاخْتَلَطَ بِهِمْ، ووجَـدَ مِن بيْنِهِم بعضَ معارفِه.

وحينَ عرَفُوا أنَّهُ كَـانَ يَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ اقْتَرحُوا عَلَيْهِ الانْضِمَامَ إِلَيْهِمْ؛ فَصَاحِبُ المَزْرَعَةِ في حَاجَةٍ إِلَى يَدٍ عامِلَةٍ إضافيةٍ.

وفِعْلاً، أَصْبَحَ عَـامِلاً بمزرعَةِ البيضِ الشَّـاسِعَةِ الأطْرَافِ. وأصْبَحَ يتقاضَى سِتَّةَ دراهِمَ أجْرةً يوْميةً عَلَى عَملِهِ.

وفي نِهَايَةِ المَوسِم كَـانَ قَدْ توافـرَ لمَنْصُورٍ مِنْ عَمَلِـهِ ولأمِّهِ مِنْ عَمَلِهَا هِيَ الأخْرَى مَا استَطَاعَا بِهِ شِرَاءَ خِرفانٍ صَغِيرَةٍ.



وجَاءَ أحَـدُ أقْربـائِهِ مِن عملِه بـأحد حقولِ البترولِ فـأعْطَاهُ مَبْلَغًا مِنَ المَالِ لشِرَاءِ نِعاجٍ أخْرَى يَشْتَرِكانِ فِيهَا مناصَفَةً.

وأصْبَحَ مَنْصُورٌ مَسْؤُولاً عن قَطِيعٍ أكْبَرَ مِنْ قَطِيعِهِ الأولِ.

فَكَانَ يَنْـزِلُ بِهِ كُلَّ فجْرٍ إلى الغدِيـرِ حيث الكلأ الغزيـر قُربَ الشَّاطئ، ويَعُودُ بِهِ كلَّ مَسَاءٍ إلى الدَّارِ.

وكانَ يملأ وقتَ فراغِهِ بحِفظِ مـا تبقَّى له من القرآنِ، وقراءةِ بعضِ كتبِ التفسيرِ والسيرةِ النبـويةِ، كما أوصاهُ والـدُه قبلَ أن يموتَ. كانَ والدُه دائمًا ينصحُه باكتسابِ العلمِ، لا للحصولِ على وظيفةٍ فقطْ، بلْ ليكونَ إنسـانًا أفضلَ، ويضربُ له الأمثالَ بالفَرْقِ بينَ عالمِ القريةِ وبعضِ رعاتِها الأميينَ...

وحينَ كانَ يتعبُ مـنَ القراءةِ كانَ يصنعُ السِّـلالَ من قصبِ الغديـرِ، أو القُفَفَ والأجربةَ والحبـالَ من الحلفاءِ؛ لتبيعَهـا أمُّهُ فِي السوقِ الأسبوعيَّةِ.

وكَفَّتْ أمُّـــهُ عنِ العمَلِ مَعَ النَّـــاس. وتَفَـرَّغَـتْ لمخْضِ الحَليبِ، وصُنْع الجُبنِ والزُّبْدَةِ وبَيعِهِما في الأسْواقِ.

وتحسَّنَتْ حَالُهَا كَمَا تَحَسَّنَتْ حَالُ جَمِيعِ أهلِ القَـريةِ، بعْدَ أنْ عَـوَّضُـوا مَا أخَـذَهُ مِنْهُم القَـراصِنَـةُ، ونَسُوا جَمِيعًـا ذَلِكَ اليَـومَ المَشْؤُومَ.

لَكِنَّ مَنْصـورًا لَمْ يَنْسَ الإهـانـةَ التـي لحقتْ بـه من معـاملـة القراصنةِ الأجلافِ له، والقهرَ الـذي أحسَّ به وهوَ يرى أغنامَه تُشحنُ في المركبِ أمام عينيْهِ وهو عاجـزٌ عن الدفاع عن حقِّه، يبكي كطفلٍ صغيرٍ. ولم ينس كـذلك الأيـامَ الثلاثَـة التِي قَضَاهَـا مُتسَكِّعًا في شـوارعِ المَدِينَةِ يبحثُ عن عمـلٍ، وينامُ في المَرَاكِبِ المَهْجُـورَةِ على الـرَّملِ، وبَيْنَ المَحَـامِلِ والمغـاسلِ في المَقْبَرَةِ، وَمَا كَـانَ يُعَانِيـهِ مِنْ رُعْبٍ بـاللَّيلِ، وهو يتصـوّرُ عددَ الأمواتِ الـذين غُسِّلُوا فوقَ تلكَ المغاسلِ، أو حُمِلـوا فوقَ تلك المحاملِ!

ولم ينسَ أنـه جاعَ في اليومِ الأخيرِ، حين انتهَـى ما كـانَ معَهُ من زادٍ، حتى كـادَ يبحثُ عن فضـلاتِ الطعـامِ في المزابلِ، ويمـدُّ يـدَهُ للتسـوُّلِ. لذلـك قرَّرَ أنْ يَحْتَـاطَ أكثَـرَ هَـذِهِ المرَّةَ. وخُصُوصًا أيامَ السُّوقِ، حين تخْلُو القَريةُ.

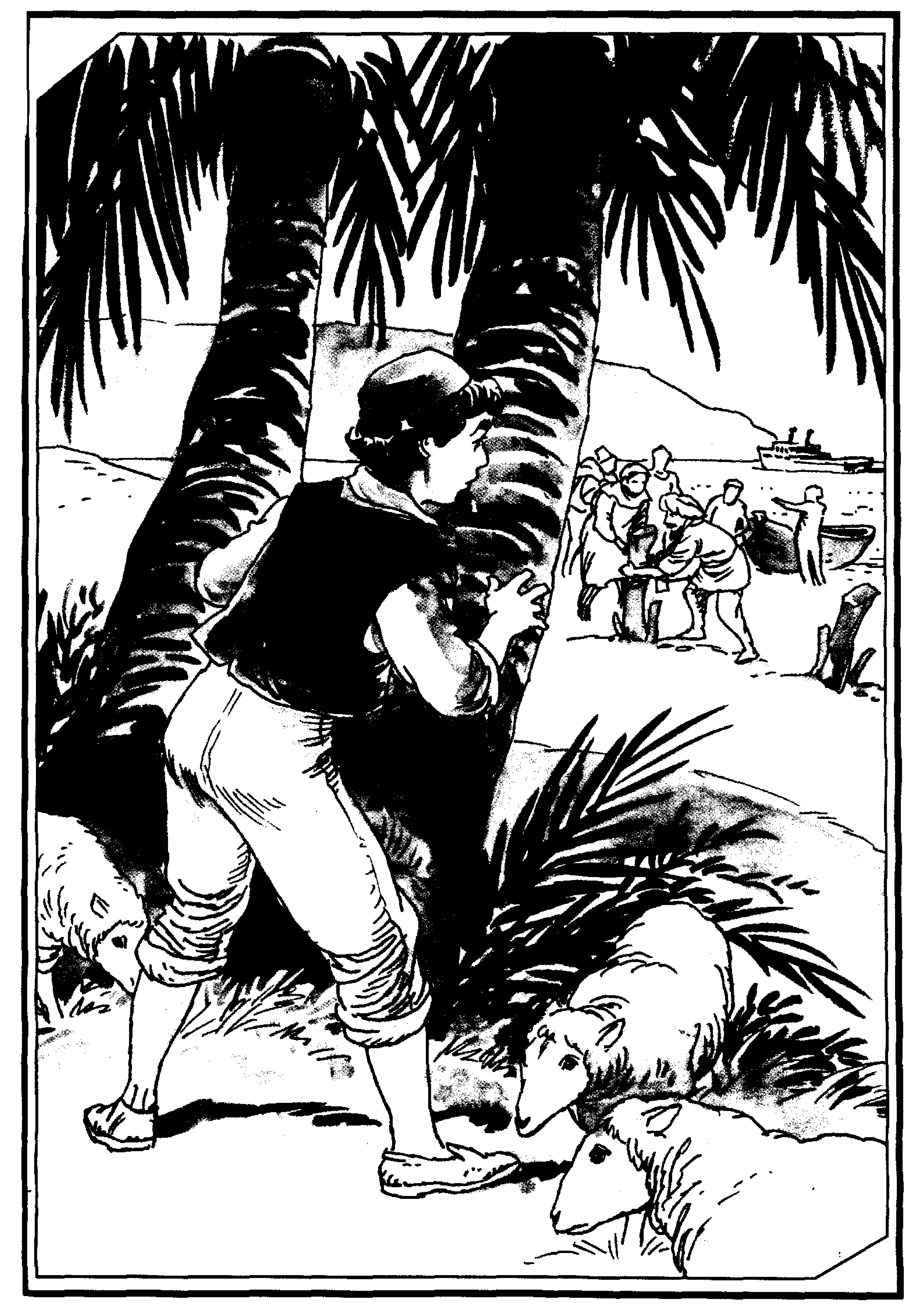
وفي صَبَـاحِ أحَـدِ أيـامِ السُّـوقِ فعـلا، وبينَما كـانَ منصـورٌ منهمكًا في صنعِ جرابٍ من الحلفاءِ وهو يرْعَى أغنَامَه العشرين قُربَ غَدِيرِه المعشب، إذْ لَمحَ شيئًـا يَتحَرَّكُ فوق المَاءِ. وحِينَ رَفَعَ عينيْـهِ رَأى مَرْكبًـا يَقْتَرِبُ بِشِرَاعِهِ المنتفِـخِ بسُرعةٍ مـزْعِجَةٍ نَحْـوَ الشَّـاطئ. . . لا بـدَّ أنه أسكتَ محرِّكَـه حتى لا يثيرَ انتبـاهَ أهلِ القريةِ إليه.

فـوثَبَ من مجلسـه، وأخَـذَ يهشُّ على غَنَمِـهِ بعصَـاهُ، حَتَّى أدْخَلَهَا غَـابَةً مِن القَصَبِ والعليقِ بَعِيـدَةً عن طَرِيقِ القَـراصِنَةِ إلى القَريَةِ.

في وَسطِ تِلْكَ الغَابَةِ كَانَ قَدْ صَنَعَ زَرِيبَةً، وَجَعَلَ لَهَا بَابًا مِنَ القَصَبِ.

وَحِينَ اسْتَقَرَّتِ الأغْنَـامُ بِهَا وَقَفَ يُراقِبُ حَرَكَاتِ القَـراصِنَةِ وهُمْ يُنْزِلُونَ القُلُـوعَ ويَهْبِطُونَ مِن المَركَبِ الكَبِيرِ إِلَى الزورقِ، ثم يجدفونَ إلى الشاطئ، ويسحبونَ القاربَ إلى الرَّمْلِ.

وَرَأى كَبِيرَهُم الأصْلَعَ صَـاحِبَ اللِّحيَةِ الكَثيفَةِ، يتقـدَّمُهُم، ويستعْجِلُهُمْ للصُّعُودِ إلَى القَريةِ. ودَقَّ قَلْبُ مَنْصُورٍ حِينَ وَقَفَ



القُـرْصَانُ الكَبِيرُ ينْظُـرُ إلى آثَـارِ مُـرُورِ أغْنَامِـهِ على الأرْضِ. . وانْحنَى، فـالتَقَطَ بَعْضَ الرَّوثِ ونظَـرَ في اتِّجَاهِ غَابَـةِ القَصَبِ، وابتسمَ ابتسامـةً ماكرةً، ثم رَمَى بـالرَّوثِ، وأشَارَ إلى أصْحَـابِهِ ليتْبَعُوهُ إلى القريَةِ.

وتنفَّسَ منصُور الصُّعَـدَاءَ، حِينَ لَمْ يَقْصدهُ القُـرْصَانُ. ورَفَعَ رأسَـهُ قَلِيـلاً، لِيُراقِبَهُمْ وهُم يَصْعَـدُونَ المُرْتَفعَ نَحْـوَ القَــريَـةِ المِسْكِينَةِ كذِئَابٍ بَشريَّةٍ جائِعَة.

ونظَـرَ إلى المَركَب الكَبِيرِ بإمْعَـانٍ فَلَـمْ يَـرَ فِيـهِ أحَـدًا. وخَلَعَ ملابِسَهُ وتحزَّم بحبلٍ، وعَلَّقَ بِهِ سِلْكًـا كَانَ يَحْتَفِظُ بِهِ فِي الزَّرِيبَةِ. وزحفَ حتى وصلَ إلى الغَـدِيـرِ الـذِي كَـانَ يَصُبُّ في البَحْـرِ، وسبحَ فيهِ إلى أن وَصَلَ إلى حيثُ تتكسَّرُ الأمـواجُ، وغَطَسَ وعام تحت الماء، حتى خرج خلف الـزورق الذي كـان نصفه الخلفي ما يزال في الماء.

ورفعَ رأسَـهُ بحـذرٍ من وراءِ الـزورقِ، ليرى هل رآه أحـدٌ. وحينَ اطمأنَّ أطلَّ بـداخلِ الزورقِ، وأخـرجَ المجدافينِ واحـدًا



بعـدَ الآخـرِ، وسحَبَهُما خلفَهُ، وزحـفَ بهما على يديْـهِ وركبتَيْـه وسطَ الغديرِ حتى لا يتركَ أثرًا.

وفي أعلَى الغديرِ حملهُما بينَ القصبِ إلى بئـرٍ عميقةٍ، ورماهُما بداخلِها، فانغرسَا في الوحلِ الناعمِ بقعرِها. . !

وعادَ إلى الغديرِ زاحفًـا، وخاضَ فيه حتى الموجِ، ثم غطسَ وسبحَ تحتَ الماءِ لا يُخرِجُ رأسَـــه إلا ليتنفسَ، ثم يعـــودُ إلى الغطسِ، حتى وصلَ إلى المركبِ.

ومن تحتِ الماءِ ظهـرَ لـهُ بطـنُ المركبِ كبطنِ حـوتٍ ضخمٍ معلقٍ في الهواءِ. وقصـدَ المروحةَ النحـاسيةَ، وأخـذَ السلكَ من حـزامِهِ، وعلَّقَـهُ عليهـا، وصعدَ ليتنفسَ ثمَّ عـادَ إلى الغطسِ. وربطَ الحبلَ بـالإطـارِ الذي تـدورُ بـداخلِـهِ المروحةُ، وعـادَ إلى السطحِ، ونظرَ في اتجاهِ الشـاطئِ، ثم استنشقَ بعمقٍ، ونزلَ إلى القعرِ.

وهنـاكَ بحثَ عن حجـرٍ صلـبٍ، وربطَـه بطـرفِ الحبلِ، وصعدَ بسرعةٍ إلى سطحِ الماءِ، وقد ضاقَ نفَسُه.



وأطلعَ الحجرَ بـالحبلِ حتى أمسكَ به، ووضعَـه بينَ المروحةِ والإطـارِ، وربطَهُ إليهِمَا بـالسلكِ ربطًـا محكمًا، بحيثُ يستحيلُ أن تدورَ المروحةُ دونَ أن تنكسرَ!

وبينما هـو يستريحُ ممسكًـا بسلَّـمِ الخشبِ المدلَّى من جـانبِ المركبِ استعـدادًا لـرحلـةِ العودةِ إذ أحسَّ كـأنَّ أحدًا يـراقبُـه. وحينَ رفعَ عينيْـهِ نحـوَ أعلى المركبِ رأى وجـهَ قرصـان عجـوزٍ أعـورَ غـارقٍ في لحيـةٍ شمطـاءَ! وقـد تطـايـرَ الشررُ من عينِـهِ الـوحيدةِ، واستلَّ من حـزامِـهِ مسدسًـا، ووجهَه إلى منصـورٍ، وصاحَ فيه بصوتٍ كالرعد:

- مَاذَا تَفْعَلُ هُنَاكَ؟!

- لا شَيءَ يَا سيِّدِي.. كنْتُ أسبحُ فَقَطْ..

- ابْتَعِدْ مِنْ هُنَا، وإلاَّ أطْعَمْتُ الحيتانَ لَحمَكَ!

- حالاً يَا سيِّدِي حَالاً!

- وابتعَدَ منْصورٌ، وقَدْ زَادَ سُرُوره بما فعَل.

وعلى الشَّـاطئِ سَمِعَ طَلَقَـاتِ البَارُودِ، وصيحـات النِّسَـاءِ والأطفَالِ، ورُغَـاء الشيَّاهِ، وثُغَـاء الماعِزِ، والقَـراصِنَةُ يسُـوقُونَهَا أمامَهُمْ، وَهُمْ يتَضَاحَكُونَ فرحين بغنيمتهم السهلة.

وابْتَعَـدَ منصـورٌ عَنْ طــريقِهِم، واخْتَفَى بَيْنَ القَصَبِ حتَّى خَرَجَ في مـرجٍ قريبٍ تَرْعَى بِه فَرَسٌ اعتَادَ مَنْصُورٌ رُكُوبَهَا. وحينَ رأتْـهُ رَفَعَتْ أُذُنَيْهَا وجَـاءَتْ نَحْـوَهُ. فَصَعدَ عَلَى ظَهْـرِهَا بِقَفْـزَةٍ واحِدَةٍ، وصَاحَ فِيها:

- رِيْ .. رِيْ!

وصَهَلَتِ الفَرَسُ، وانْطَلَقَتْ تَرْكُض كَسَهْمٍ يَخْتَرِقُ الريحَ.

وَلَمَحَهُ أحَـدُ القَرَاصِنَةِ فصَـوَّبَ مسدَّسَهُ نحـوَهُ، وأخَذَ يُطْلِقُ النار. والتَصَقَ منْصُورٌ بظَهر الفَرَس حتَّى صارَ طَرَفًا مِنْهَا..

ومِنْ أعلى التَّل المُؤدِّي إلى الطَّرِيقِ العَـام، حَيثُ يُوجَدُ مـركَزُ الشرطَةِ، رأى مَنْصُـورٌ قائدَ القَـراصِنَةِ يَتَـوَجَّهُ نَحْـوَ زريبتِه بيْنَ القَصَبِ، فيفْتَحُهَـا ويُخْرِجُ الشِّيَاهَ، فَـزَادَهُ ذَلِكَ حِقْـدًا عليهِمْ، وَرَغْبَةً في الانتقامِ.



وعلَى الشَّـاطئِ شَحَنَ اللُّصوصُ الـزورقَ بخمسةِ أكْبَـاشٍ . وحينَ بَحَثُوا عَن المِجْدافَيْنِ لَمْ يَجِدُوهُمَا .

وأخَذَ قائدهـم الشَّرِسُ يَصِيحُ فيهِم ، ويركلُهُم ، صَارِخًا :

- ابْحَثُوا عَنِ المَجَاديفِ ! أيْنَ وَضَعْتُمُوهُمَا ، أيُّهَا الكِلاَبُ ؟ !

وانْتَشَرُوا يَبْحَثُونَ بَيْنَ الأعْشَـابِ ، وَوَسط القَصَبِ ، وكَبِيرُهُم يُحَاوِلُ جَمْعَ الأغْنَامِ التِي بَدَأتْ تَتَفَرَّقُ . .

واجْتَمَعَ عليْـهِ كِـلاَبُ القَـريـةِ يَنْبَحُـونَ ، وهُـوَ يطْلِقُ النَّـارَ ليُبْعِدَهُم عَنْهُ ، فَلاَ يزدادُونَ إلاَّ غَضَبًا وشراسَةً . .

وأخيرًا صَاحَ بـرجالِهِ ليرجعُـوا . وحِينَ اجْتَمَعُوا حَولَـه ، قَالَ لَهُمْ :

- سننقُل الأغنَامَ إلى المَرْكَبِ بدُونِ مَجَاديفَ .

فَسَألُوا جَمِيعًا باستغرَابٍ :

- ولكِنْ ، كيفَ ؟

- سنجرُّهَا بالحبْلِ من البرِّ إلى المَركَب .



وفعلاً سبحَ أحـدُ القراصِنَـة بطرفِ الحبلِ إلى المَركَبِ، ومِنْ هُنَـاكَ أخَــذَ يجُرُّ القَـارِبَ المَشْحُـون بــالأغنـامِ، هُــوَ وزميلُـه الميكانيكِي، ويفرغانه، ثُم يجذبُه آخرونَ من الشاطئ بحبْلٍ آخرَ فيملأونَهُ بالحيوانَاتِ . . وهكَذَا حتَّى شَحنُوا آخِرَ خرُوفٍ .

ووقَفَ نِسَـاءُ القريـةِ، وعجائزُهَـا، وصِبْيانُهَا، يتفـرجُون في حُـزْنٍ عَلَى القَرَاصِنَـةِ، مِن فـوق التلِّ، وهُمْ يـركَبُونَ الـزورق، ويتضَاحكُونَ، ويُلَوِّحُونَ إلَيْهِم صائحينَ :

- شكرًا، إلَى السَّنَةِ القَادِمة ! عَلِّفُوا أغنامَكُمْ جَيدًا !

وابتعد الزورقُ بهم عن الشاطئِ .

* * *

وفي المَرْكَبِ صَاحَ رئيسُهُم بالميكانِيكِي :

- أدِر المُحَرِّك !

فأجابَ المِيكَانِيكِي :

- حَالاً !

وَدَخَلَ غُرفَةَ القِيَادةِ. ومَا إنْ أدَارَ مفتاح المُحَرِّك حتَّى سَمِعَ صَوتًا غَريبًا كَصوتِ انفِجارٍ، سَكَتَ عَلَى إثْرِهِ المُحركُ .

وَعَادَ يُدِيرُ المِفْتَاحَ لتشغيله مَرة أخرَى دُونَ جَدْوَى .

وَسَمِعَ القائدُ ذَلِكَ فَجاءَهُ :

- مَاذَا حَدَثَ ؟

- لاَ أدْرِي . . المُحَرِّكُ لاَ يُرِيدُ أنْ يَدُورَ.

فاسْتَشَاطَ القُرصَانُ الفظُّ غضبًا، ولكم المِيكَانِيكِي في وجْهِهِ صَارِخًا فيهِ :

- ماذَا تقُولُ ؟ !

وأمْسَكَ بتلابيبِهِ، وأخَذَ يَهُزُّهُ بعُنْفٍ قَائِلاً :

- أصْلِحْ ذَلِكَ المُحَرِّكَ حَالاً، وإلاَّ ملأتُ رأسَكَ رَصَاصًا !

وَوَضَعَ فوهَةَ مُسَدَّسِهِ في فَمِ المِيكانِيكِي المذعورِ !

وهُنَا سُمعتْ طلْقَة مدْفَعٍ قَوية من بَعيدٍ، وجَاءَ أحدُ اللُّصوصِ مُسْرِعًا إلى رئيسِهِ، وصاحَ مشيرًا إلى جهةِ الغرب :

- سَيِّدي، انْظُرْ. .

وخَرَجَ القُرْصَانُ الكبيرُ من غُرفَةِ القِيَادَةِ، ونَظَرَ فإذَا خَافِرةُ شَواطِئَ ضخْمَةٌ تشقُّ البحْرَ نحوَهُم.

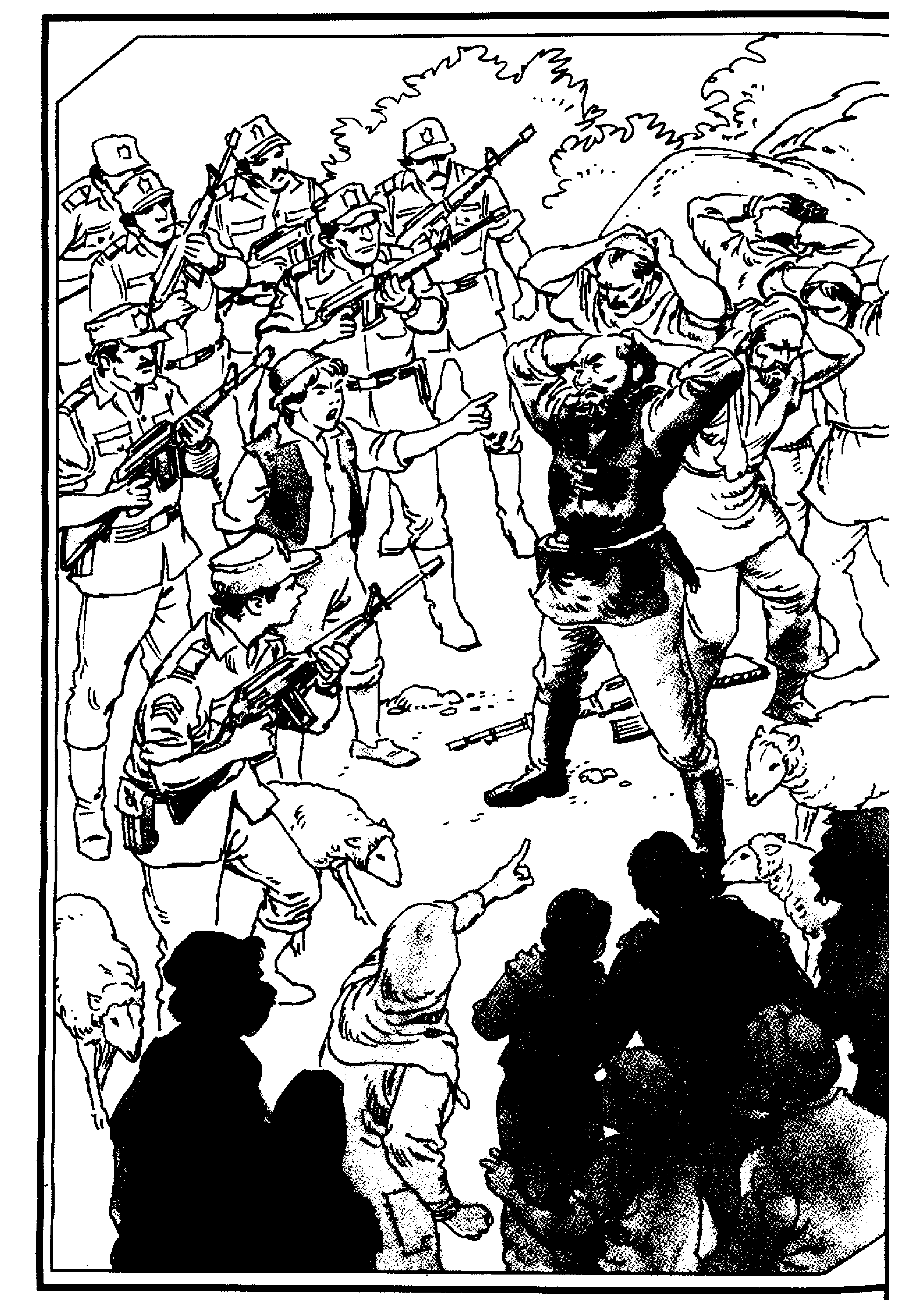
وحينَ اقْتَرَبَتْ منْهُمْ أخْرَجَ قائِدُ الحَرسِ بُوقًا ووَجَّهَ الكَلاَمَ إلى القَرَاصِنَةِ:

- مَدافِعُنَا مُوجَّهةٌ نَحْوكُم! ألقوا بأسْلِحَتِكُمْ في البَحْرِ، وارْفعُوا أيديكُمْ!

ورَمَى القَراصِنةُ أسْلِحَتِهِم، ورَفَعُوا أيدِيَهم. ولكِنَّ رئيسَهُمْ رَكَّزَ المُسَدَّسَ في حزَامِه، وقَفَزَ إلى المَاءِ في اتجاهِ الشَّاطئِ.

وما كادَ يلمسُ الرملَ حتى اجتمعتْ عليهِ النساءُ والأطفالُ، وأخذُوا يرجمونه بالحجارةِ، ويَهْوون عليه بالهراواتِ والأقصابِ الطويلةِ، وبعضُهن ارتمَى على ساقيهِ حتى يمنعَهُ من الوقوفِ. ولكنَّه كانَ قويًّا كالبغلِ، فوقفَ، واستلَّ مسدسَهُ، وأخذَ يطلقُ النارَ في كلِّ اتجاهٍ، بطريقةٍ عشوائيةٍ، فتفرقتِ النساءُ مولولاتٍ هارباتٍ.

وفي هذهِ اللحظةِ ظهرَ منصورٌ على فرسهِ البيضاءِ، وارتمَى



على ظهرِ القرصانِ، وطوَّقَ رقبتَهُ الغليظةَ بذراعِهِ القويةِ، وألقَى بهِ أرضًا . . !

وعادَ النساءُ والأطفالُ، وضربتْ أمُّ منصورٍ يدَ القرصانِ بعصًا غليظةٍ، فسقطَ منها المسدسُ، وأحاطَ بهِ نساءُ القريةِ الغاضبة يهددن ويتوعدن .

ولم ينقذْهُ من أيديهم إلا حضورُ فرسانِ الشرطةِ الذين قدمُوا من جهةِ البرِّ على صهواتِ الجيادِ .

وكادَ القرصانُ الكبيرُ يشعرُ بالسعادةِ لقدومِ الشرطةِ ! فلو كانوا تأخرُوا قليلاً لما قبضُوا إلا على جثةٍ هامدة !

ونقلَ القراصنةُ الأغنامَ من المركبِ إلى الشاطئِ بالطريقةِ نفسِها التي شحنُوهَا بهَا .

ووضعَ رجالُ الشرطةِ الأغلالَ في أيديهم، وقادُوهم إلى المخفرِ، يتبعُهم نساءُ القريةِ والقرَى المجاورةِ، يزغردنَ فرحًا وشماتةً .

* * *

واجْتَمَعَ أَهْلُ القَـريةِ أمـامَ مَرْكَـزِ الشرطةِ، فَخَرَجَ الضـابطُ وأَخْبَرَهُمْ بأَنَّ مَـركَبَ القَراصِنَـةِ سيبُـاعُ، وسَتُدْفَعُ لَهُمْ مِن ثَمَنِـه تعـويضـاتٌ عَلَى مَا سُرِقَ مِنْهُمْ في العَـام الماضِي. وسَيُعطَى مـا تَبَقَّى جائزَةً لمنْصُور، الذي لَولاَ ذَكـاؤُهُ، وخيالُهُ، وشجاعَتُهُ، لما قَبَضَ الرجالُ على هؤلاءِ القراصِنَةِ الذينَ دوَّخُوا الشَّواطئ.

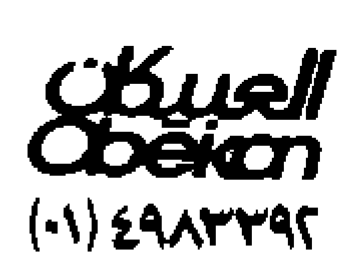
وأقامَ أهْـلُ القريَةِ حفلَـةً لمنصورٍ. وتنـازلَ لَهُ كلُّ واحـدٍ عن كبشٍ أوْ عنز هَديَّةً وتقديرًا لشجاعتِهِ.

ووَصَلَ الخَبَرُ إلى محافظ الإقلِيمِ، فَبَعَثَ في طَلَبِـهِ، وهَنَّأَهُ عَلَى عَيمَلِهِ الجَرِيءِ، وسَأَلَـهُ مَاذَا يُرِيـدُ أنْ يَكُونَ ؟ فأجَـابَ مَنْصُورٌ وهو تحتَ تأثيرِ مشهدِ خافرةِ السـواحلِ وضباطِها الشبابِ ذوي البذلِ العسكريةِ الأنيقةِ:

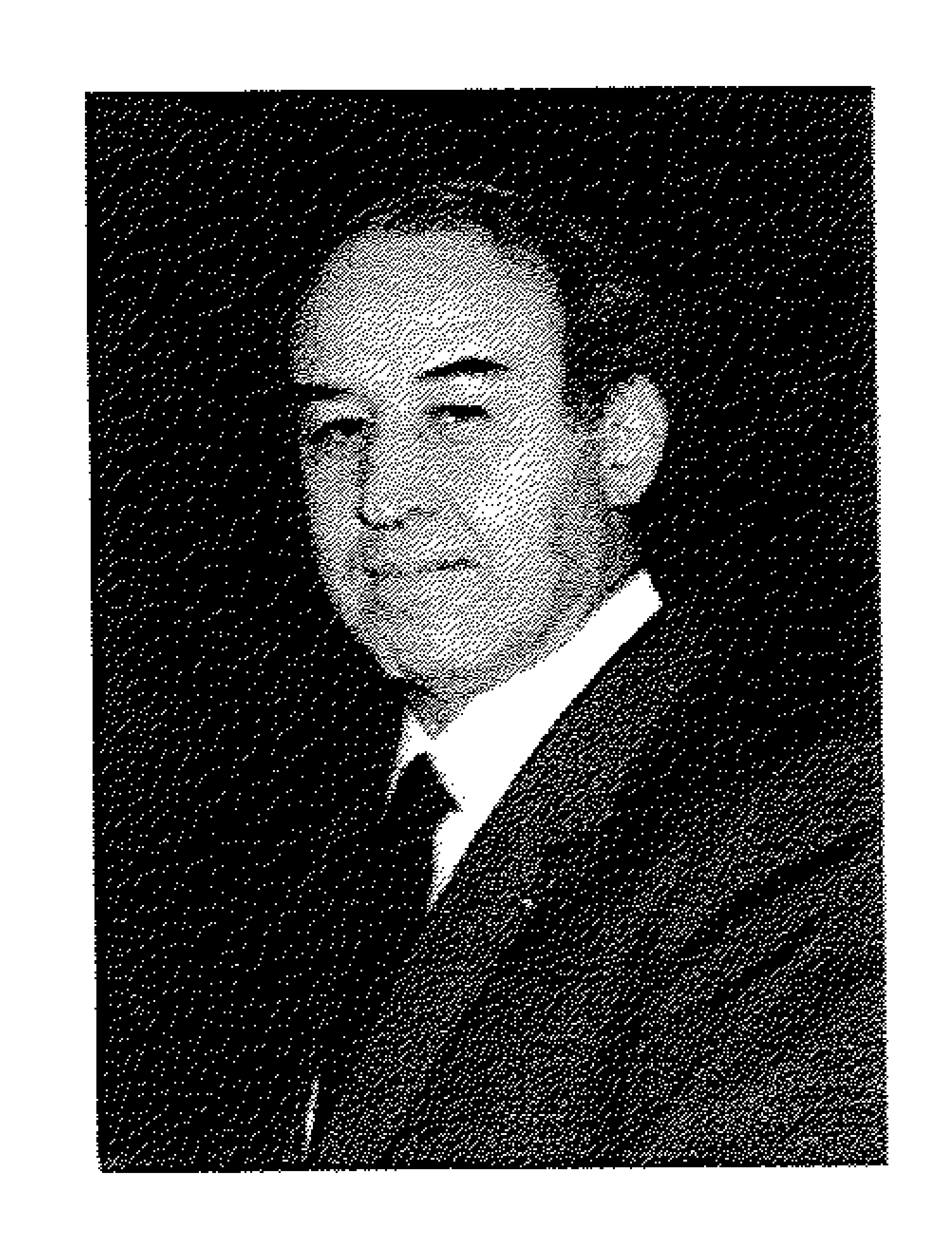
- أريدُ أنْ أكُونَ شرطيًّا، أو حَارِسَ شَوَاطئَ لأخدمَ بِلادِي.

وهكـذا دَخَلَ منْصُورٌ مـدرسَةَ خَفرِ السَّواحِلِ، وتخرَّج فيهـا قَائِدَ خَافِرَةٍ سَريعَةٍ تَحْمِي شَوَاطئَ الوَطَنِ.

العبيكان
Obeikan



هذه السلسلة



تضم هذه السلسلة مجموعة مختارة من القصص والروايات التربوية التشويقية المختارة للكاتب المغربي المعروف أحمد عبدالسلام البقالي، الحاصل علي جائزة «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم».

وهي موجهة للشباب بأسلوب الأستاذ البقالي السلس، وخياله الخصب، وخطوته السريعة التي تنقل القارئ من مفاجأة إلى أخرى، ومن عالم إلى آخر، يقرب للقارئ أحداث الماضي البعيد، ويلقي الأضواء المستقبل، بالبراعة نفسها التي يتناول بها الحاض فالبقالي من أبرع كتاب القصة البوليسية ا الحديثة للشباب في العالم العربي.

مكتبـ